

ورقة عمل حول الوضع الدولي

١ - افلاس النظام الرأسمالي العالمي :

=====

يعيش النظام الرأسمالي العالمي أزمة هيكلية خانقة تزداد تفاقماً، وتعم جميع البلدان الرأسمالية، سواء المتطورة منها أو "المتخلفة".

وتنعكس هذه الأزمة بالتفاوت الصارخ ما بين البلدان الرأسمالية المتطورة، والبلدان "المتخلفة"، كنتيجة لهيمنة الرأسمال الاحتكاري على جميع مرافق الانتاج الدولي. كما تنعكس بالاساس، على الكادحين، وتساهم في تعاظم الفوارق الطبقية :

- تكاثر جيوش العاطلين .

- ضعف القوة الشرائية لدى الكادحين .

- تدهور نوعية الخدمات الاجتماعية، وتقلص استفادة الكادحين منها .

- انهيار الوحدات الاقتصادية الصغرى، نتيجة عجزها على مواجهة منافسة الشركات

الكبرى الاحتكارية .

ومقابل هذا نلاحظ ان البورجوازية الاحتكارية، بالرغم من الازمة العامة، يتسع نفوذها

على الصعيد الدولي، ويزداد ثراها بشكل صاروخي .

هكذا يتبين ان النظام العالمي الذي بلغ أوج تطوره : النظام الاحتكاري، لا يمكنه ان

يضمن استمراره دون حل التناقضات التي تنخره من الداخل، وبالاساس تعارض مصالح الاحتكارات الكبرى مع مصالح الطبقة العاملة .

• محاولة "الاشتراكية الديمقراطية" انقاد النظام الرأسمالي عن طريق الاصلاحات :

تلك الاصلاحات التي وصفها لينين بأنها "مضادة للثورة"، كما وصف هذه الاشتراكية المشوهة بـ:

"محاولة انقاد نظام محكوم عليه، عن طريق اضعاف وتقسيم الطبقة العاملة، من اجل صيانة نظام

البورجوازية ضدا على حتمية تغييره الثوري" .

ويمكن تلخيص وسائل "الاشتراكية الديمقراطية" في المحاور التالية :

- الاعتماد على دور الدولة والتصميمات، لكن دون المساس بعلاقات الانتاج، ومصالح

الاوليغارشية المالية .

- اشراك ممثلي العمال (النقابات الاصلاحية) في تسيير ومراقبة الشركات الرأسمالية،

دون نزع ملكيتها من يد الاحتكارات، ودون الطعن في الملكية الخاصة .

- "اشراك" العمال في الارباح .

ان الهدف من جميع هذه المحاولات، هو انقاد النظام الراسمالي، وصرف انظار الكادحين عن حتمية البناء الاشتراكي الحقيقي .
حتى انه برزت خلافات داخل الاحزاب التي تتبنى هذه النظرية، ومن ثم، ظهور اجنحة يسارية أصبحت تؤمن بضرورة جعل حد لدور الراسمال في النظام الاقتصادي .

٢ - تصاعد العدوان الامبريالي :

=====

التحولات التي عاشتها الامبريالية العالمية في المدة الاخيرة (خاصة الامريكية) .
المرحلة الاولى : بعد الهزيمة الشنعا، التي كبدها الشعب الفيتنامي للجيش الامبريالي الامريكي، بدأ يتبلور موقف عند المسؤولين الامريكيين (تحت ضغط الرأي العام) ينادى بتجنب الاعمال العدوانية العسكرية، وبعدم ارسال قوات عسكرية الى الخارج .
وهذا الموقف، الذي تبناه كارتر في السنوات الاولى من صعوده الى البيت الابيض، تبلور على النحو التالي :

- الاعتماد على الحلفاء : الانظمة الرجعية والحركات المرتزقة .

- عدم مساندة الانظمة الدكتاتورية، بل وحتى الركوب على شعار حقوق الانسان .

- تخفيض النفقات العسكرية .

المرحلة الثانية : سرعان ما لقيت هذه السياسة معارضة عنيفة من طرف الاحتكارات الصناعية والعسكرية . ذلك أن التراجع في السياسة الخارجية الامريكية، ساعد في انتصار بعض الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية والديكتاتورية (اثيوبيا - نيكاراغوا - ايران، الخ . . .)
هكذا فرضت الاحتكارات الكبرى، الرجوع الى السياسة التقليدية، شعورا منها بخطر استمرار المد التحرري على مصالحها .

وقد تجسد هذا الرجوع الى سياسة العصا الغليظة في عدة تدابير منهجية، تظهر بجلاء الطبيعة العدوانية الثابتة لدى الاوساط الامبريالية، ومن هذه التدابير :

- انشاء ما يسمى بقوات التدخل السريع، التي تشكل راس حربة العدوان الامبريالي ضد الشعوب، كما تجلى ذلك في محاولة تدخلها الفاشلة في ايران اثناء ازمة الرهائن .

- الرجوع الى اسلوب الحرب الباردة، وتسخير امكانيات اعلامية هائلة ومتناسقة لشن حرب ايديولوجية شعواء، من خلال استغلال ابسط الاحداث وتشويه الحقائق ومحاولة ضرب مكتسبات التعايش السلمي .

- تطوير الاستراتيجية الحربية، بتركيز قوات عسكرية ضخمة في المناطق الاستراتيجية من الكرة الارضية، وتصيد التسليح النووي لبلدان أوروبا الغربية، كتهديد مرفوع في وجه البلدان الاشتراكية، وكذلك اقامة قواعد عسكرية جديدة في شتى أنحاء العالم : الصومال - مصر - عمان - كينيا - باكستان . . .

ومع مجي' ريغن الى البيت الابيض، عرفت هذه السياسة العدوانية تطورا ملموسا :

- تقديم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادى للانظمة الرجعية والفاشية والعنصرية .
- البدء في انتاج القنبلة النيوترونية .
- الرجوع الى انتاج الاسلحة الجرثومية .
- مركزة الصواريخ النووية والاسلحة الكيماوية في أوروبا .
- الاعتداء على الجماهيرية الليبية في خليج سرت، ومضايقة الانظمة التقدمية في كل من كوبا ونيكاراغوا وأنغولا، والتدخل ضد ثورة شعب السالفادور، بتقديم الخبراء والتقنيين للطفمة الفاشية الحاكمة .
- التدخل السافر في الشؤون الداخلية للبلدان الاشتراكية، بخوض حرب اعلامية واسعة النطاق ضدها، وتقديم الدعم والسند للثورة المضادة في بولونيا وأفغانستان .
- التخلي عن الاتفاقيات الدولية بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت ٢) ، ووضع العراقيل امام مباحثات نزع السلاح، وكذا دفع أوروبا واليابان الى التسلح، وتدعيم قوات الحلف الاطلسي .
- الابتزاز والتهديد باستعمال السلاح النووي، والاعلان في اى وقت وحين بعدم التردد في الدفاع عن "المصالح الحيوية للولايات المتحدة" عبر العالم .

لكن رغم هذه السياسة العدوانية، وما تشكله من خطر على السلام والامن في العالم، فان النضال المعادى للامبريالية وحلفائها، قد اتسعت رقعته، وتقدم ميزان القوى الدولي لفائدة قوى التقدم والحرية .

٣ - نضال حركة التحرر الوطني العالمية، والطبقة العاملة في البلدان الراسمالية .

لقد كبدت الثورة الفيتنامية اول هزيمة عسكرية للجيش الامبريالي الامريكي، عقبها ازمة نفسية وسياسية داخل المعسكر الامبريالي نفسه . وتلى انتصار الثورة الفيتنامية، سلسلة من الانتصارات حققتها الشعوب في عدة بقاع من العالم، ومنها على الخصوص :

- سقوط الامبراطورية الاثيوبية، وقيام سلطة مناهضة للامبريالية، بالرغم من ان هذه السلطة تنتهج موقفا عدائيا خاطئا وشرفينيا ضيقا تجاه الشعب الارتيرى ونضاله العادل من اجل حقوقه الوطنية وقيام دولته المستقلة .
- الانتصار الرائع للقوى الوطنية والتقدمية في كل من موزمبيق وغينيا بيساو وأنغولا، وصمود هذه الاخيرة رغم التخريب والمؤامرات التي تدبرها الامبريالية وحلفاؤها المحليون (النظام العنصرى في جنوب افريقيا، ومرتزة منظمة اونيتا) ضد النظام الوطني هناك، وانعكاس هذه الانتصارات على الوضع الداخلي في البرتغال، بالاطاحة بالديكتاتورية .
- احراز زمبابوى على الاستقلال، وتوجهه نحو نهج وطني، لولا ابعاد بعض القوى التي ساهمت بالسلاح في انتزاع الاستقلال من الاقلية العنصرية .

- انعكاس هذه النضالات المظفرة على الوضع في جنوب افريقيا وناميبيا، وتعزيز نضال الحركات التحررية هناك ضد العنصرية والاستعمار، ومن اجل تحقيق السلطة الوطنية .
ان هذه النضالات المظفرة، قد تزوجت مع الانتصار العظيم الذى حققه الشعب الايراني بالاطاحة باحدى اعتد قلاع الامبريالية في العالم، الشيء الذى الحق ضربة قاسمة بمصالح هذه الاخيرة، ونفودها في المنطقة. الا ان المشكل الذى يتهدد مكتسبات الثورة الايرانية، ويعوق تجدرها في اتجاه سليم، هو التعصب الديني الرجعي، والتوجه الليبرالي، ومن ثمة، فان صيانة مكتسبات الثورة التي ضحى الشعب الايراني من اجلها، مهمة ملقاة اساسا، على عاتق القوى الثورية الحقيقية، دينية كانت ام غيرها .

وفي امريكا اللاتينية يجب تسجيل الانتصار التاريخي الذى حققه شعب نيكاراغوا على نظام سوموزا الدكتاتورى، وقيام نظام وطني تقدمي، لا زال صامدا في وجه التحرشات الامبريالية، والمؤامرات المسلحة التي تدبرها هذه الاخيرة بواسطة المرتزقة .

وفي أوروبا نفسها، شهدت الامبريالية في العقد الاخير، سقوط العديد من قلاعها اللامشروطة، كما هو الشأن بزوال الانظمة الفاشية في كل من اليونان والبرتغال واسبانيا، الا ان خطر رجوع الفاشية الى السلطة في هذه البلدان لا يزال قائما .

كما شهدت فرنسا في السنة الماضية، فوز قوى اليسار وصعودها الى الحكم بعد اكثر من عشرين سنة من سيطرة اليمين على مقاليد السلطة . ان هذا الحدث يعتبر تحولا تاريخيا في أوروبا وانتصارا اكيدا لقوى الديمقراطية في العالم، الا ان الحزب المسيطر في التحالف الحاكم (الحزب الاشتراكي) معروف بتوجهه الاصلاحى (وان كان أكثر تقدمية مقارنة بالاحزاب الاشتراكية المكونة للاممية الثانية) ، وكذا دفاعه اللامشروط عن الكيان الصهيوني .

ان مجمل هذه الانتصارات المتتالية، والنضالات المسترسلة التي حققتها الشعوب على طريق تحريرها وتقدمها، هي التي تعمل على تعميق أزمة النظام الرأسمالي العالمي في المستويين الموضوعي والداتي، وتدفع نحو حصر نفوذه عالميا، وانتزاع المبادرة من يده بتحويل ميزان القوى العام لصالح الشعوب التواقعة الى الديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

٤ - دور البلدان الاشتراكية .

=====

وإذا كان كفاح الشعوب المضطهدة عاملا من العوامل الاساسية في الصراع ضد النظام الرأسمالي العالمي، فلا يجب ان يغيب عنا دور البلدان الاشتراكية، ومساهمتها الفعالة في هذا الصراع .

ان هذه البلدان تعيش ولا شك، مشاكل داخلية ناتجة عن الظروف التاريخية العامة التي نشأت فيها، والتي فرضت خلق جهاز امني للدفاع عن الثورة ضد الهجمات المتتالية للامبريالية، ذلك الجهاز الذى لم يتم التحكم فيه باستمرار، وضبط ممارسته بمقاييس ثورية

جمهورية، الشيء الذي ترتب عنه فيما بعد، بروز ظواهر بيروقراطية سلبية، وبعض المشاكل في إعادة توزيع فائض القيمة العام بشكل متكافئ، وعادل .

وإذا كانت هذه المشاكل مطروحة لشعوب هذه البلدان لحلها وتجاوزها، فلا يجب أن ننسى المكتسبات الاجتماعية الهائلة التي تحققت لصالح هذه الشعوب، والمنجزات الاشتراكية التي تم تثبيتها بشكل لا رجعة فيه .

أما على الصعيد الدولي، فإن التحليل الموضوعي والملموس لدور البلدان الاشتراكية، يفرض حقيقتين أساسيتين :

الحقيقة الأولى : وهي أن البلدان الاشتراكية، هي في أساسها وغايتها، مناهضة للإمبريالية وللنظام الرأسمالي العالمي، مناهضة تناحرية . وهي بالتالي، الحليف الموضوعي للشعوب المضطهدة وشبه المستعمرة . وهي تشكل أيضا القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية الراقفة في وجه الإمبريالية العالمية، وتعمل باستمرار، على ردعها وحصر وضرب مخططاتها العدوانية . ومن المؤكد أنه لولا عامل الردع هذا، والموقع الذي تحتله البلدان الاشتراكية، والدور الذي تلعبه عالميا، لما تقدم النضال التحرري بالسرعة التي يتقدم بها حاليا .

الحقيقة الثانية : تكمن في أن البلدان الاشتراكية لا يمكنها أن تنوب عن الشعوب، أو أن تصدر اليها الاشتراكية . فهي عامل مساعد، وحليف موضوعي، وصديق لهذه الشعوب في نضالها العادل ضد الإمبريالية، لكن شكل ونمط البناء الاشتراكي فيها، ليس قابلا جاهزا صالحا للتطبيق في أي مكان وزمان، ومن ثمة، فإن المطروح على القوى التقدمية والثورية في كل بلد على حدة، هو البحث عن الحلول الملائمة لكل واقع ملموس و متميز، وتسجيل نضالها ضمن إطار النضال العام المناهض للإمبريالية، جنبا إلى جنب مع كل الحلفاء والأصدقاء .

فمن هذه المعطيات يتضح أن التناقض الأساسي على الصعيد الدولي، يحتدم ما بين الإمبريالية العالمية وحلفائها المحليين من جهة، وحركة التحرر الوطني في العالم، والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المصنعة وبلدان المنظومة الاشتراكية من جهة ثانية .

أن هذا التناقض الأساسي هو الذي يوجب صراع الكادحين وكل المنتجين ضد الطبقات المستغلة من أجل تحريرها وانعتاقها، وبناء مستقبلها الاشتراكي، وتحقيق طموحاتها في العدالة والازدهار .

أن حل هذا التناقض، سيمر ولا شك، عبر سيرورة طويلة ومعقدة، وسيمر بمراحل من المد والجزر . لكن اتجاهه التاريخي الغالب، يعمل بالتأكيد، على تغليب قضية الشعوب العادلة، بحل هذا التناقض وانهاؤه عهد الهيمنة والسيطرة الاستغلالية وفتح الابواب أمام عهد التعاون فيما بين الشعوب على أسس اشتراكية عادلة .